عدوا محالك ان يدخلوا البيت الحرام فامر لهم ما قربوا لك
غيره يا رب لا ارجو سواكا يا رب فامنع منهم حماكا ان عدو البيت
من عاداك المفرلن يبهروا قوتكا فلتفت وهو يدعو فاذا هو
بطير من ناحية اليمن فقال والله انها الطير غريبة ما هي بنجدية
ولا تهامية وكان مع كل طير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من
العدس واصغر من الحمصة قال الراوي فارسل عبد المطلب حلقة
باب الكعبة ثم انطلق هو ومن معه من قريش الى شعب الجبال
ينتظرون ما يفعل ابرهة اذا دخل مكة فارسل عليهم طيرا من البحر امثال
الخطاطيف مع كل طاير منها ثلاثة احجار فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج
من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل وذكر
عن ابن عباس رضي الله عنه انه راى من تلك الاحجار عند ام هاني نحو
قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري قال الراوي وليس كلهم اصابت
وخرجوا هاربين يبتدرون الى الطريق التي منها جاوا وروى ان ابرهة
تساقطت انامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره
هو وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى قدموا فسعا وهو لا يعرف
الطاير وقيل قدموا على النجاشي فقص عليه القصة فلما تمها وقع عليه
الحجر فخر ميتا بين يديه **فصل** حكى الماوردي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ولدت عام الفيل ويروى انه صلى الله عليه وسلم
قال يوم الفيل وقال في كتاب اعلام النبوة ولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول وكان بعد
الفيل بخمسين يوما ووافق من شهور الروم العشرين من اسباط من
السنة الثانية عشر من ملك هرمز بن انوشروان قال وحكى
ابو جعفر الطبري ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنين واربعين
من ملك انوشروان وقد قيل انه صلى الله عليه وسلم حملت به
امه يوم عاشورا من شهر المحرم حكاه ابن شاهين ابو حفص في فضائل
يوم عاشورا وولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
فكانت مدة حمله صلى الله عليه وسلم ثمانية اشهر كملا ويومين من
التاسع وقال ابن الجوزي قال ابن وهب عن مالك ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين
مقعدين يستطعمان الناس **فصل** قال بعض العلما كانت
قصة الفيل مما يعد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله
وقبل التحدي لانها كانت توكيدا لامره وتمهيدا لشانه ولما تلى عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كان بمكة عدد كثير ممن
شهد تلك الواقعة ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد الا وقد
راى قايد الفيل وسايقه اعميين يتكففان الناس قالت عايشة
رضي الله عنها مع حداثة سنها لقد رايت قايد الفيل وسايقه اعميين
يستطعمان الناس **قوله** الم يجعل كيدهم في تضليل اي في ابطال
وتضييع والكيد هو ارادة مضرة بالغير لا يعلم ارادوا ان يكيدوا
قريشا بالقتل والسبي والبيت بالتخريب والهدم قالت المعتزلة
اضافة الكيد اليهم دليل على انه تعالى لا يرضى بالقبيح اذ لو رضي لاضافه
الى ذاته **قوله** وارسل عليهم طيرا ابابيل قال النحاة ابابيل نعت
للطير لانه اسم جمع واحده ابيل وقيل لا واحد له كاساطير وعباديد وقيل واحده
ابول كعجول وقيل ابال وقيل ابيل مثل سكين وحكى الرقاشي ابابيل جمع ابالة
بالتشديد

٣٩٢

بالتشديد وحكى الفرا ابالة مخففة **فصل** الابابيل الجماعات
شيا بعد شي قال
طريق وجبار رووا اصوله علية ابابيل من الطير تبعث
ونذ يستعار لعنبر الطير كقوله
كادت تهد من الاصوات راحلتي اذا سالت الارض بالجرد الابابيل
قال ابو عبيدة ابابيل جماعات في تفرقة يقال جات الخيل ابابيل من
هنا وهنا قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السما لم ير مثلها
وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ... انها طير بين السما والارض تعشش
وتفرخ وعن ابن عباس رضي الله عنه كان لها خراطيم كخراطيم الطير
واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر
لها رووس كرووس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عايشة
رضي الله عنها هي اشبه شي بالخطاطيف وقيل بل كانت اشبه بالوطا وبط
وقيل انها العنقا التي تضرب بها الامثال قال النحاس وهذه
الاقوال متفقة المعنى وحقيقة المعنى انها جماعات عظام يقال
فلان ويل على فلان اي تعظم عليه وتكبر وهو مشتق من الابل
فصل قال ابن الخطيب هذه الاية رد على الملحدين جدا
لانهم ذكروا في الزلازل والرياح والصواعق والخسف وساير
الاشيا التي عذب الله تعالى بها الامم اعذارا ضعيفة اما هذه
الواقعة فلا يجري فيها تلك الاعذار وليس في شي من الطبايع والحيل
ان يقصد طير امعها حجارة فتقصد قوما دون قوم فتقتلهم ولا
يمكن ان يقال انه كساير الاحاديث الضعيفة لانه لم يكن بين
عام الفيل ومبعث الرسول الا نيف واربعين سنة ويوم تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وقد بقي جمع شاهدوا
تلك الواقعة فلا يجري فيها تلك الاعذار ولو كان النقل ضعيفا
لكذبوه فعلمنا انه لا سبيل للطعن فيه **قوله** ترميهم بحجارة
ترميهم صفة لطير وقرا العامة ترميهم بالتانيث وابو حنيفة
وابن يعمر وعيسى وطلحة بالياء من اسفل وهما واضحتان لان اسم الجمع
يذكر ويونث ومن التانيث قوله كالطير ينجو من الشوبوب ذي البرد
وقيل الضمير لربك اي يرميهم ربك بحجارة ومن سجيل صفة لحجارة
والسجيل قال الجوهري قالوا حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب
فيها اسما القوم لقوله لنرسل عليهم حجارة من طين وقال عبد الرحمن
ابن ابزى من سجيل اي من السما وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط
وقيل من الجحيم وهي سجين ثم ابدلت النون لاما كما قالوا اصيلال واصيلان
قال ابن مقبل ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجينا
وقال الزجاج من سجيل اي مما كتب عليهم ان يعذبوا به مشتق من السجل
وقد تقدم القول والسجيل في سورة هود قال عكرمة كان اذا اصاب احدهم
الحجر خرج معه الجدري ولم ير قبل ذلك اليوم وقال ابن عباس رضي الله عنه
كان الحجر اذا وقع على احدهم نفط جلده وكان ذلك اول الجدري قال
يونس بن عبيد والسجيل عند العرب الشديد الصلب قال وزعم بعض
المفسرين انها كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وانما هو سنك
وجيل فالسنك الحجر والجيل الطين اي من هذين الجنسين الحجر والطين قال ابو
اسحاق وحدثني يعقوب بن عتبة انه اول ما رايت الحصبة بارض العرب